من كتاب البحث عن الغد

لرومم لاندو

للأستاذ على حيدر الركابى

« أحببت أن أعقب على بحث الأستاذ العقاد بترجمة بعض المقاطع التى تناول فيها المؤلف لبنان وسورية والعراق وفلسطين وشرقى الأردن لما تضمنته من تحليل دقيق وآراء صريحة ومعلومات قيمة »

١ — الجمهورية اللبنانية

لبنان

إن الصلة بين لبنان (وهو قطر يسود فيه النصارى) وفرنسا قديمة ترجع إلى عهد الحروب الصليبية ولكنها ازدادت توثقاً سنة ١٨٦٠ عند ما تدخلت الدول الغربية وأجبرت الحكومة العثمانية على منح لبنان شيئاً من الاستقلال المحلى . ومنذ ذلك العهد توسعت المصالح الفرنسية في البلاد وتهيأت نفسية الشعب للحكم الفرنسى بفضل المدارس الفرنسية والكلية اليسوعية فى بيروت والرهبان اللبنانيين الذين تلقوا علومهم فى فرنسا والكهنة اليسوعيين Jesuites الفرنسيين . ومع أن دمشق هى عاصمة سوريا الحقيقية إلا أن المندوب السامى يقيم دائماً فى بيروت لأن لبنان بسواحله الممتدة يهم فرنسا أكثر من سورية ذات الحدود الواسعة التى يصعب الدفاع عنها وذات الصحراء المترامية الأطراف

ومع أن فرنسا قد خلقت فى سورية عدداً من الدويلات المستقلة كاللاذقية وجبل الدروز وسنجق الاسكندرونة إلا أن سورية ولبنان هما الدولتان الرئيسيتان من الناحيتين السياسية والقومية . وأهمية هاتين الجمهوريتين أعظم بكثير من حجمهما ، فمساحتهما لا تزيد على (٦٠ر٠٠٠ م . م .) وسكانهما لا يزيدون على (٣ر٥٠٠ر٠٠٠ نسمة) . والفضل فى هذه الأهمية عائد إلى الوضع الجغرافى والنهضة الفكرية والاتصال الدائم بالغرب . وقد اتحدت كل هذه العوامل مع التنبه القومي العظيم فجعلت للدولتين أهمية روحية فى العالم العربى تكاد تضاهى أهمية مصر . وقد لعب السوريون دوراً رئيسياً فى أكثر الثورات والحركات الفكرية والسياسية التى حدثت فى الشرق الأدنى منذ عام ١٩١٩

يمتاز لبنان على سائر الأقطار العربية بأن الأحزاب السياسية المتناقضة فيه هى المسيطرة على سير الحوادث . والحزبان الرئيسيان هما: أولاً حزب الحكومة المستند بالدرجة الأولى على تأييد النصارى أكثر من غيرهم والذى يرمى إلى أتباع سياسة إفرنسية. وثانياً : الحزب الذى يعارض الأول كل المعارضة ويؤيده أكثر المسلمين وبعض النصارى. وهناك فئة ثالثة ذات رأى معتدل تسعى إلى الابتعاد عن المنازعات الطائفية ، أعضاؤها من اللبنانيين المتعلمين والأجانب الذين تمكنوا — بشكل من الأشكال — من أن يلعبوا دوراً هاماً فى حياة البلاد

رئيس الجمهورية

لقد دعانى المسيو أميل اده رئيس جمهورية لبنان لتناول طعام الغداء فى بيته ، وبهذا أتاح لى الفرصة للوقوف على وجهة نظر الحكومة من مصدر عال

يقعُ مكتب المسيو إده الرسمى فى السراى الصغيرة فى ميدان بيروت الرئيسى ، وهى دار الحكومة؛ أما بيته الخاص فهو فى الطابق الثانى من عمارة حديثة ذات طوابق متعددة وعلى مدخلها ألواح تشير إلى وجود طبيب وأشخاص من مهن مختلفة بين سكانها . ومع ذلك فان (الدركىّ) الواقف على الباب والعلم الفرنسى ذا الأرزة فى زاويته المرفوع على السطح والعلم الآخر الصغير الموضوع فى مكان بارز على السيارة الفخمة الواقفة خارج البناء ،

منه مجرى هذا النهر القرآنى إلا القليل ، وإلى هذا القليل نبه الأستاذ العريان فيما أرخ للرافعى وإن بأسلوب آخر . وعجب الأديب قطب أنه لم يعرف هذا القليل ولا ذلك الكثير على وجهه، ويحاول أن يتوصل بكل سبيل إلى هدم الرافعي الشاعر الكاتب المجاهد فى سبيل الله والعربية والقرآن ؛ لكن الذى يحاول هدم الحق ينهدم به وإن تحفظ ، ونحن نشفق على أخينا سيد قطب من عاقبة معاداة الحق ومجافاة طريق القرآن . فهل له فى أن يفىء إلى الحق وإلى أمر الله ؟ إننا نكون أول المتتبطين له وبه إن فعل ونستغفر الله إليه مما يسوءه فى هذه الكلمات

« بورسعيد » محمد أحمد الغمراوى

كلها دلائل على مكانة أحد سكان العمارة الرفيعة . أما البيت نفسه فهو كبير ومؤثث بفرش حديثة عادية وعلى جدرانه رسوم ليست حديثة تماماً .

ان المسيو اده نصراني لبناني ، ولا بد في لبنان من ذكر دين الشخص لمعرفة مكانته الرسمية . وقد استقبلني بصحبة زوجه وولدها . أما منظره فيدل على ذكاء ، وهو قصير القامة ويرتدي الملابس الضيقة وقد وضع في صدره شارة جوقة الشرف لجيون دُونير . وكانت كل كلمة أوحركة منه تدل على حيوية لم يسع صاحبها إلى كتمها أو ضبطها . ولو قيل لمن ينظر إليه إنه نائب في مجلس النواب الفرنسي عن مقاطعة في جنوبي فرنسا لما تعجب من ذلك . وهو يحام لعب دوراً خطيراً في السياسة اللبنانية منذ الحرب العظمى . وقد تدرج في النيابة إلى رياسة مجلس النواب ، إلى عضوية مجلس الشيوخ ، إلى رئاسة الوزارة حتى تبوأ أخيراً أعظم مقام رسمي في البلاد .

وكان طعام الغداء لذيذاً جداً قدمه لنا خادمان يرتدي كل منهما سترة بيضاء وقفازاً أبيض من القطن . وكان الحديث مثيراً شأن كل حديث يُتبادل أثناء تناول الطعام في صحبة أشخاص فرنسيين مثقفين ، وكان كرم المائدة أعظم ما يواجه الانسان عادة في بيت مماثل في فرنسا ، ولكني مع ذلك كنت أشعر كل الوقت بأني بين جماعة من الفرنسيين حتى أن مظهر زوج الرئيس الجذابة (هي مصرية المولد) وابنته الجميلة وابنه الشاب (الذي يتمهن المحاماة وينظر إلى نفسه والحياة عامة نظرة جدية) كان فرنسياً إلى درجة شعرت معها بأني في باريس نفسها لا في وسط الأسرة الأولى في شعب يفتخر بأنه من نسل الفينقيين .

وبعد الغداء أخذني المسيو إده إلى غرفة صغيرة حيث جلسنا نتحدث، وقد سرني منه أنه كان يستمتع ببسط وجهة نظره أمامي بدرجة استمتاعي بسماعها . قال :

— « إن الفكرة القومية هي الأساس الطبيعي الذي تبنى عليه حياة بلاد فتية ، ومعنى هذه القومية في نظرنا هو استقلال لبنان التام باعتبار أنه يشكل وحدة جغرافية وسياسية ، وتحالفه المؤبد مع فرنسا . إن بعض المسلمين يتكلمون عن الاتحاد مع سورية إلا أن هذا الاتحاد مخالف لجميع مصالحنا . إننا كنصارى نشكل أكثرية في لبنان، فاذا اتحدنا مع سورية ابتلعتنا الأكثرية الاسلامية . وهناك أسباب أخرى تجعلنا معارضين لهذا الاتحاد :

« إن شعبنا — من جهة — يختلف اختلافاً كلياً عن الشعب السوري، إذ أن تقاليدهم غير تقاليدنا وطرز معيشتهم غير طرزنا. أنظر إلى بيروت، هل هي مدينة شرقية ؟ إن دمشق شرقية تماماً، ولكن مدينتنا لا تختلف عن أية مدينة في جنوبي فرنسا . أنظر إلى بيوتنا وملابسنا وسياراتنا التي تكاد تبعدنا مئات الأميال عن دمشق . تذكر ليس فقط أن أولادنا قد تعلموا في جامعات أوربية بل أيضاً أن آباءنا قد تربوا تربية غربية، وأن الكثيرين منهم قد تثقفوا في الخارج . أما السوريون فهم ليسوا سوى عرب مسلمين ليس فيهم شيء غربي ألبتة .

« ثم لنبحث في الناحية الاقتصادية : إن السوريين متشوقون كثيراً إلى مشاركتنا في واردات الكمارك مع أن أكثر هذه الواردات تستوفى من ضريبة مفروضة على بضائع نشتريها نحن لا هم، إذ أن احتياجاتنا أكثر من احتياجاتهم ووسائل الراحة التي نتطلبها أكثر من وسائلهم . نريد أن نكون أصدقاءهم ولكن (وهنا أشار المسيو إده بيديه إشارة قوية تدل على التأكيد) يجب أن نعارض دائماً فكرة الاتحاد معهم »

فقلت : « إذاً فانكم تفضلون يا حضرة الرئيس التحالف مع فرنسا على التحالف مع سورية ؟ »

فأجاب : « إن هذا التحالف (أي مع فرنسا) هو نتيجة طبيعية للوضع الذي وجدنا أنفسنا فيه . فان فرنسا قد ساعدتنا في الماضي وأكثرنا يتكلم لغتها . خذني مثالاً لذلك : إني فرنسي أكثر من أن أكون عربياً ؛ وقد تربيت تربية نصرانية وجميع تصرفاتي مشابهة تماماً لتصرفات الفرنسيين » . وقد شعرت برنة فخر في صوته عند ما تفوه بهذه العبارة

وسألته « ولكن ما الحكمة في تحالف أبدي مع فرنسا ؟ »

فأجاب « لأننا إذا لم تحمنا دولة أجنبية قوية ابتلعنا جيراننا. وأضيف إلى ذلك أننا نحمل رسالة مقدسة يجب تأديتها في الشرق الأدنى : ذلك لأننا الجزيرة النصرانية الوحيدة في بحر من البلاد الاسلامية »

— « إذاً فأنتم معارضون للوحدة العربية ؟ »

— « إن الوحدة العربية هي ضد مصلحتنا . فاذا اعتنق هذه الفكرة بعض المسلمين عندنا فإن كل النصارى يكرهونها »

— « لقد أشرتم قبل لحظة إلى رسالتكم المسيحية مع أن النصرانية ليست دين الدولة الرسمي في لبنان »

— كلا ! فلعل جمهورية لبنان هي الدولة الوحيدة في الشرق الأدنى التي ليس لها دين رسمي . والسبب يعود إلى وجود عدد كبير من الطوائف الدينية عندنا . ومن سوء الحظ أن الدور الفعال الذي يلعبه دائماً رجال الدين التابعون إلى هـذه الطوائف المختلفة قد تجاوز الحد وأصبح مضراً بمصلحة البلاد . ولما كانوا يخلطون بين الدين والسياسة فلا نريد أن نعقد الأمور بإدخال الدين رسمياً في المعمعة بشكل من الأشكال ، إذ لو فعلنا ذلك لوقعنا في ورطة عظيمة ولضعنا بين الأكثرية المارونية والروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك واللاتين والسنة والشيعة والدروز والأرمن والبروتستانت واليهود ! » وهنا ظهرت على وجهه لأول مرة أمارات القلق الشديد وتوقف عن الحديث هنيهة ثم استرسل قائلاً :

— « إن للطوائف المسيحية المختلفة نفوذاً سياسياً قوياً بفضل رجال الدين . ولو أردنا أن نحول دون نشاطهم السياسي لعجزنا عن ذلك ؛ ولهذا رأينا المصلحة تقضي بترك هذه المسألة . ومع ذلك فان كل تعيين جديد في الحكومة يسبب تذمراً لدى طائفة من الطوائف الدينية . آه لو كنا أحراراً — أحراراً نعمل كما يجب أن نعمل — أحراراً نعين الناس بالنظر إلى مؤهلاتهم لا بالنظر إلى أديانهم ... »

— «لعل دكتاتوراً يستطيع تسهيل أمر الحكم في لبنان؟» فرفع يديه وكأنه مشمئز وقال :

«أنا ضد كل دكتاتورية، أنا أؤيد الديمقراطية » وهنا توقف قليلا ثم عاد إلى الكلام بلهجة مختلفة :

« حبذا لو كان بامكاننا تطبيق النظام الديمقراطي كما تعرفونه في انكلترا حيث لم يفرض فرضاً غير طبيعي على شعب غير مهيأ له بل كان نتيجة طبيعية للتربية السياسية وفكرة راسخة عند المواطنين الانكليز . آه ما أسعدكم في إنكلترا وأعظم بها من بلاد ! »

وقد رافقت هـذه الكلمات أنة شديدة دلت بجلاء على صدق عاطفته

(بغداد — دار المعلمين الريفية) علي عبد الرؤوف

حـــواء

. . . ديوان شـعر طريف في النزل العرفاني يصدره الأستاذ الحوماني تحت هذا الاسم وستقدم الرسالة لقرائها نماذج منه في أعدادها التالية ريثما ينتهي طبع الديوان

كيف أشقى ؟؟

خبّريني كيف أشقى وعلى ... فيكِ من روحي هذي البسماتُ؟
كيف أشقى، وعلى خديكِ من ... كبدي لونٌ، ومن ثمي شياتُ ؟
وعلى عينيكِ من لون الضحى ... حَوَرٌ تطفو عليه القُبلات
أوَأشقى ، والهوى ملء فمي ... عَسَلاً تَهْلُ منه الوجناتُ ؟؟
وبكفّي ثمارٌ أنضجتْ ... طلعها مني شفاهٌ قُبلات
ما السعاداتُ التي يَنشدها ... شاعرٌ حَصّتْ جناحَيه الحياة ؟
أهيَ غيرُ الحبِ ، ترعى روضَه ... من قوافيهِ مهاةٌ فهاة ؟؟
خفقتْ روحُكِ في آفاقهِ ... فبدا صبحٌ وهبتْ نسماتُ
وطغت في الكون أمواج السنا ... فسرت روحٌ وخفت حركات

انت لحني

سلبتْ عيناكِ لي ، إنهما ... كانتا رمزَ حياتي وخلودي
أستشفُّ الروحَ في ظلهما ... فأرى بينهما سرَّ وجودي
كلما اهتزَّ على سلكهما ... ناظري مارستُ فني من جديد
وتولّتْ شفتي تدوينـــه ... بدمي فوق شفاهٍ ونهود
وإذا الفن طغى خفّتْ إلى ... رسمهِ بين عيون وخدود
كلما سرّت بها أنشودةٌ ... كنتِ من أبياتها بيتَ القصيد
كنتِ في مطلعها زهرَ فمٍ ... وعلى مقطعها لفتة جيد
أنتِ لحني كلما أنشـــدتُها ... وإذا لحنتُها كنتِ نشيدي

الحوماني